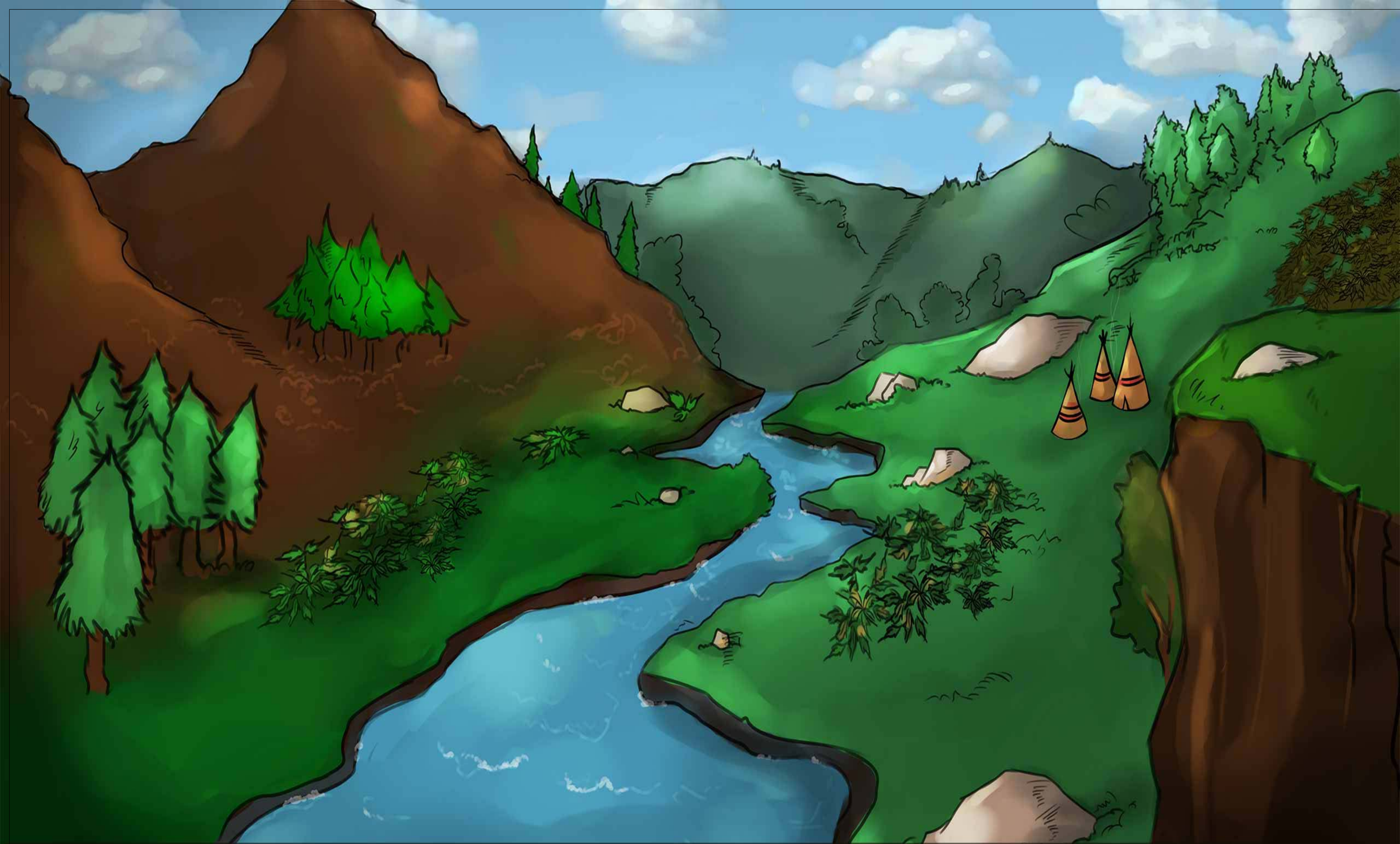
ك

شَمْسِي فِي جَيْبِي

تَأْليف : عَمرو أَبو حمِيدَان
رُسوم : هِبة وَاصِف





فِي قَدِيمِ الزَّمانِ، قَبْلَ أَنْ يَصْنَعَ الْإِنْسانُ كُلَّ ما تَراهُ حَوْلَكَ مِنْ تَطَوُّرٍ، كانَ الْإِنْسانُ يَعيشُ في الْغاباتِ وَالسُّهولِ في مَجْموعاتٍ تُدْعى قَبائِلَ.

لَمْ تَكُنْ حَياةُ الْإِنْسانِ سَهْلَةً في ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَكانَتْ عَلى وَشْكِ أَنْ تُصْبِحَ أَصْعَبَ مَعَ بِداياتِ الْعَصْرِ الْجَليدِيِّ.



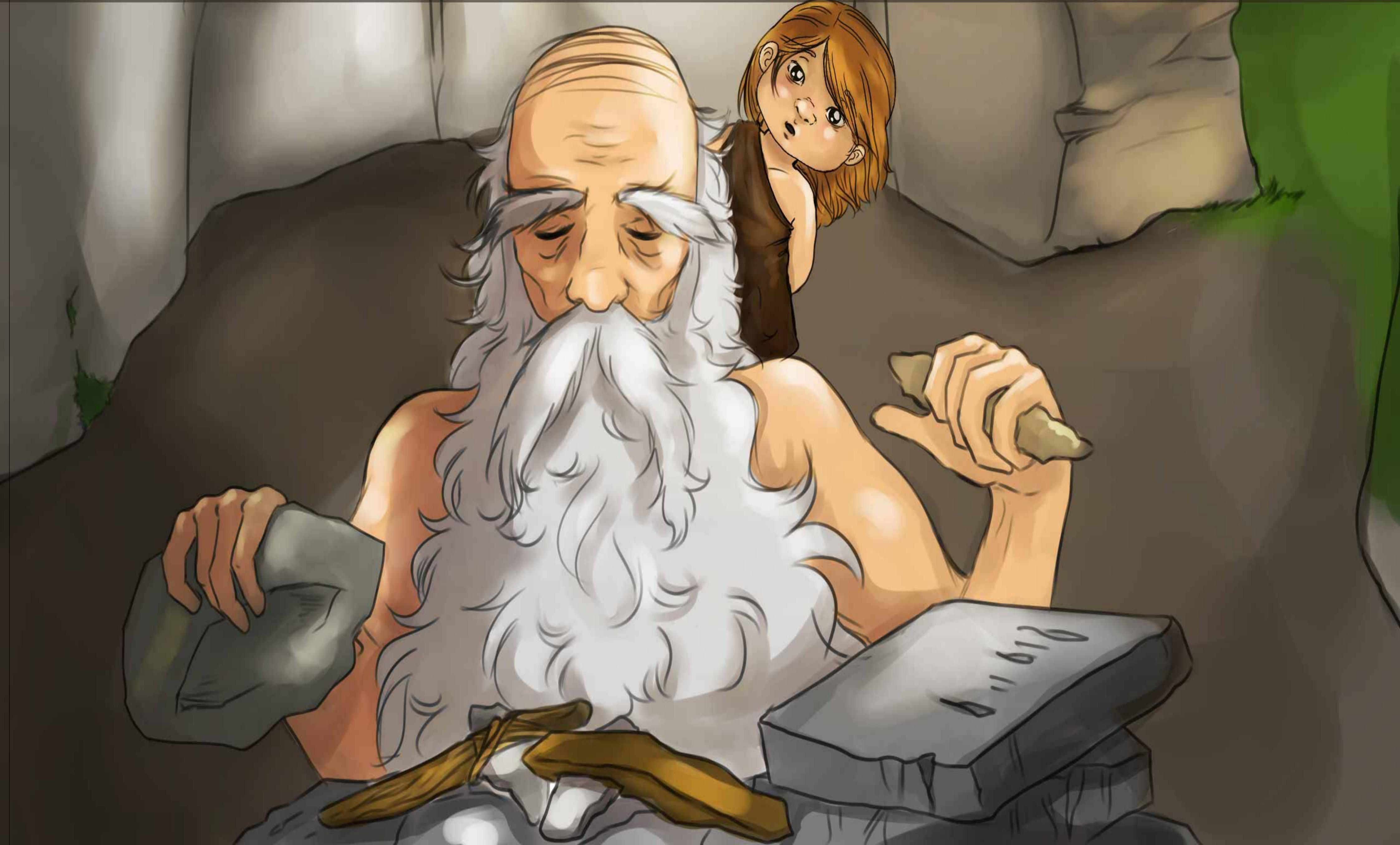


وَهُنا تَبْدَأُ قِصَّتُنا مَعَ صَبِيٍّ صَغيرٍ اسْمُهُ توكا، لَمْ تَكُنْ حَياةُ توكا سَهْلَةً أَيْضًا؛ فَقَدْ فَقَدَ (توكا) أَباهُ في حادِثِ صَيْدٍ، وَكانَتْ أُمُّهُ مَريضَةً لا تَسْتَطيعُ الحَراكَ.



قَرَّرَتْ قَبيلَةُ توكا الرَّحيلَ غَرْبًا بَحْثًا عَنِ الدِّفءِ وَالطَّعامِ. ذَهَبَ توكا إلى حَكيمِ الْقَبيلَةِ؛ لِيَطْلُبَ مِنْهُ الْمُساعَدَةَ، فَكَيْفَ بِهِ أنْ يَذْهَبَ في هَذِهِ الرِّحْلَةِ الطَّويلَةِ الشّاقَّةِ وَهُوَ طِفْلٌ صَغيرٌ؟

أَنْصَتَ الْحَكيمُ إِلى قِصَّةِ توكا جَيِّدًا، وَفَكَّرَ جَيِّدًا، ثُمَّ قالَ: أَنا أَعْرِفُ أَنَّ الرِّحْلَةَ سَتَكونُ صَعْبَةً يا توكا، لَكِنْ لَيْسَ هُناكَ خِيارٌ آخَرُ سَأُعْطيكَ شَيْئًا سَيُساعِدُكَ في رِحْلَتِكَ هذِهِ، ذَهَبَ الْحَكيمُ إِلى زاوِيَةِ الْكَهْفِ الَّذي يَعيشُ فيهِ، وَبَحَثَ في كَوْمَةِ أَغْراضٍ هُناكَ.





وَعادَ لِتوكا وَفي يَدِهِ كُرَةٌ مُضيئَةٌ، وَقالَ: هذِهِ شَمْسُكَ يا توكا، سَتُبْقيكَ دافِئًا، أَبْقِها في جَيْبِكَ وَلا تَفْقِدْها.

بَدَأَتِ الرِّحْلَةُ الطَّويلَةُ، وَقَرَّرَ توكا أَنْ يَضَعَ أُمَّهُ عَلى مِزْلاجٍ، وَأَنْ يَجُرَّها خَلْفَهُ، عَلى الرَّغْمِ مِنْ تَحْذيراتِ الْجَميعِ أَنَّ ذلِكَ سَيَجْعَلُ الْأَمْرَ مُسْتَحيلًا.

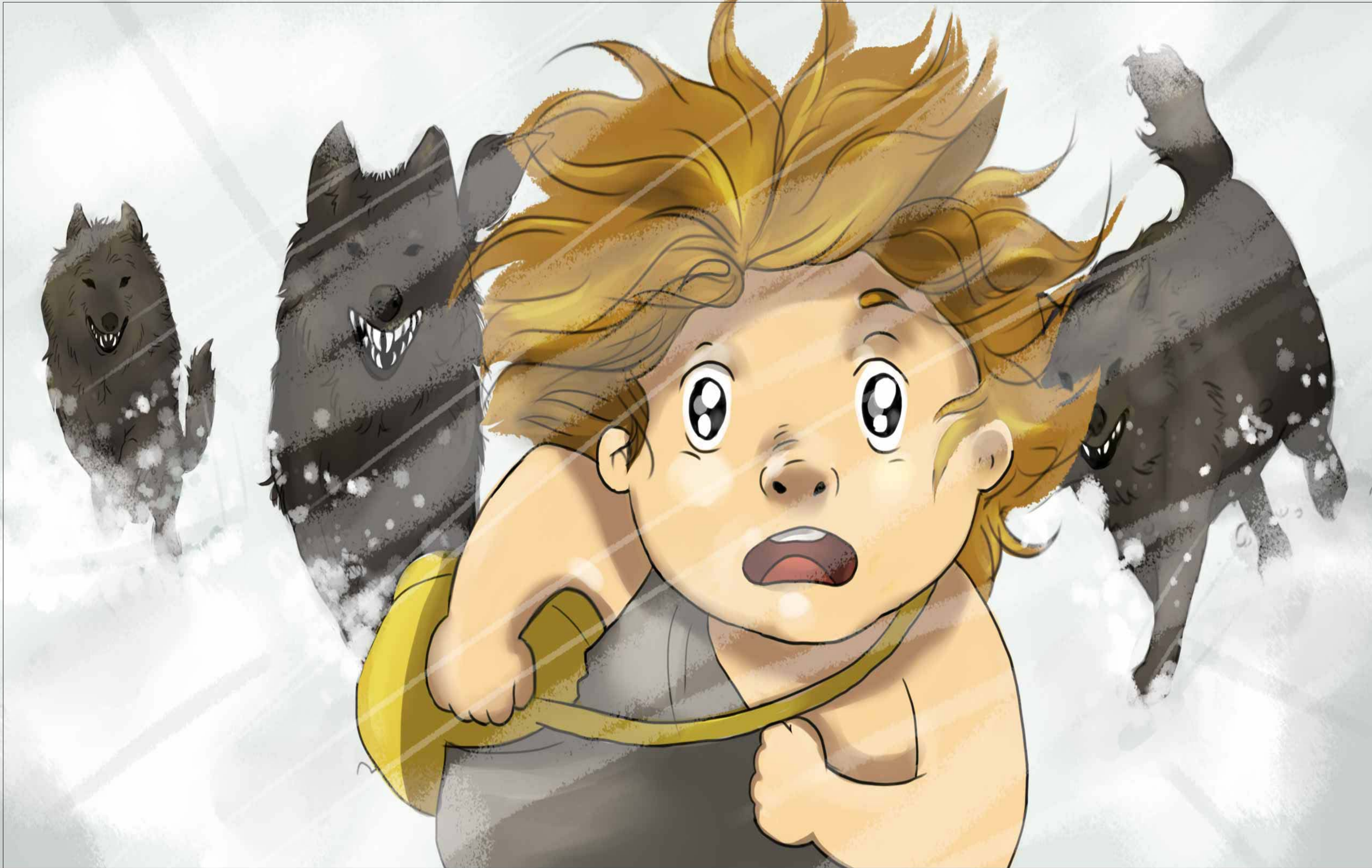




مَـرَّتِ الْأَيّـامُ، وَفي كُلِّ يَومٍ كانَتِ الرِّحْلَةُ أَصْعَبَ وَالْبَرْدُ أَقْسى.



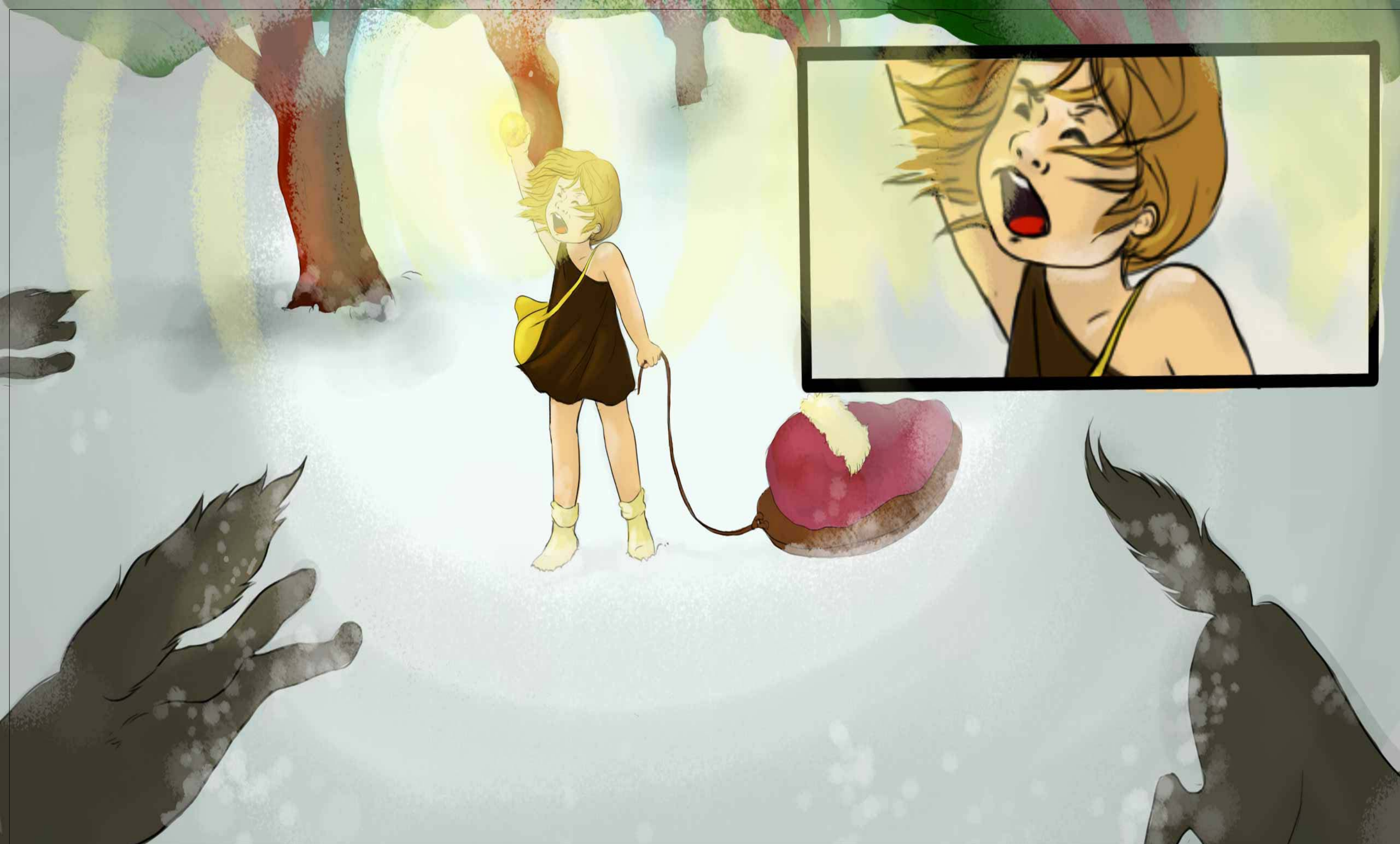
وَفي كُلِّ لَيْلَةٍ كانَ توكا يَجْلِسُ بِجانِبِ أُمِّهِ، وَيُرَدِّدُ لِنَفْسِهِ: شَمْسي في جَيْبي... شَمْسي في جَيبي.



وَفي يَوْمٍ مِنَ الْأَيّامِ، هَبَّتْ عاصِفَةٌ ثَلْجِيَّةٌ قَوِيَّةٌ بَعْثَرَتْ قافِلَةَ الْقَبيلَةِ، وَوَجَدَ توكا نَفْسَهُ وَحيدًا مُلاحَقًا مِنْ مَجْموعَةٍ مِنَ الذِّئابِ.



رَكَضَ وَرَكَضَ، وَلَكِنَّ الذِّئابَ ظَلَّتْ تُلاحِقُهُ... حَاصَرَتِ الذِّئابُ توكا.



اسْتَجْمَعَ توكا شَجاعَتَهُ، وَأَخْرَجَ كُرَتَهُ الْمُضيئَةَ مِنْ جَيْبِهِ صارِخًا بِأَعْلى صَوْتِهِ: "شَمسي في جَيْبي"
خافَتِ الذِّئابُ وَهَرَبَتْ.



ظَلَّ توكا يَمْشي عِدَّةَ أَيّامٍ حَتّى الْتَحَقَ بِقَبيلَتِهِ، اسْتَغْرَبَ الْجَميعُ مِنْ عَوْدَتِهِ؛ لِأَنَّهُمْ فَقَدوا الْكَثيرَ مِنْ رِجالِ الْقَبيلَةِ الْأَقْوِياءِ في هٰذِهِ الْعاصِفَةِ
وَعِنْدَما سَأَلوهُ كَيْفَ اسْتَطاعَ أَنْ يَعودَ وَحْدَهُ، كانَ يُرَدِّدُ: شَمْسي في جَيْبي.



تابَعَتِ الْقَبيلَةُ الْمَسيرَ حَتّى وَصَلوا جَبَلًا شاهِقَ الِارْتِفاعِ، وَلَمْ يَكُنْ هُناكَ طَريقٌ سِوى مَغارَةٍ مُظْلِمَةٍ جِدًّا تَمُرُّ مِنْ خِلالِهِ.



اسْتَسْلَمَ عَدَدٌ كَبيرٌ مِنْ أَهْلِ الْقَبيلَةِ، وَقَرَّروا أَنْ يَعُودوا أَدْراجَهُمْ؛ خَوْفًا مِنْ ظُلْمَةِ الْمَغارَةِ. كانَ توكا خائِفًا، إِلّا أَنَّهُ قَرَّرَ التَّغَلُّبَ عَلى خَوْفِهِ.

فَدَخَلَ إِلى الْمَغارَةِ، وَبَدَأَ يَتَلَمَّسُ طَرِيقَهُ... لَمْ تَكُنِ الطَّرِيقُ سَهْلَةً، وَكانَتْ مُظْلِمَةً وَمَليئَةً بِالْمَخاطِرِ، إِلّا أَنَّهُ ظَلَّ يُرَدِّدُ لِنَفْسِهِ:
شَمْسي في جَيْبي... شَمْسي في جَيْبي.




فِي نِهايَةِ الْمَغارَةِ، بَدَأَ توكا يَرى بَصيصًا مِنَ الضَّوْءِ، رَكَضَ وَتَفاجَأَ مِمّا رَأى...



إِنَّها سُهولٌ خَضْراءُ، وَغاباتٌ، وَشَمْسٌ دافِئَةٌ، وَحَيَواناتٌ تَرْكُضُ في كُلِّ مَكانٍ.



فَرِحَ توكا وَتابَعَ الْمَسيرَ حَتّى وَجَدَ قَبيلَةً مِنَ الْبَشَرِ وَانْضَمَّ إِلَيْها، إِلّا أَنَّ سُؤالًا واحِدًا ظَلَّ يُحَيِّرُهُ: ما هذِهِ الطّاقَةُ السِّحْرِيَّةُ في الْكُرَةِ الْمُضيئَةِ؟



فَذَهَبَ إِلى حَكيمِ الْقَبيلَةِ الْجَديدَةِ وَأَخْبَرَهُ بِقِصَّتِهِ، نَظَرَ الْحَكيمُ إِلَيهِ وَإِلى الْكُرَةِ وَابْتَسَمَ، ثُمَّ قالَ: هذِهِ كُرَةٌ مِنَ الْعَنْبَرِ لا تَمْلِكُ أَيَّةَ قُدُراتٍ سِحْرِيَّةٍ... السِّحْرُ في داخِلِكَ يا توكا؛ شَمْسُكَ في داخِلِكَ، في فِكْرِكَ، في قَناعَتِكَ... أَنْتَ وَحْدَكَ تَسْتَطيعُ تَحْقيقَ ما تُريدُ.


النِّهايَةُ